

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ..

ثبت في سنن الإمام الترمذي بسند حسن من حديث أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ : " أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِي فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَالَ آيَةُ آيَةٍ قُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } قَالَ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَيْرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ بَلْ اتَّبِعُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ .. " .

## باب فضل طلب العلم

أجمع العلماء على أنه لا ينشرح صدر عبد للعلم إلا أراد الله به خيراً، وقد شهد الله تعالى لأهل هذه النعمة العظيمة أنهم أهل الدرجات، وقرن درجاتهم بدرجات أهل الإيمان، وشهد الله تبارك وتعالى أن أهل العلم هم أهل خشيته، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله: "أصل العلم خشية الله".

### ● ما هو العلم ؟

العلم هو كتاب وسنة .. ( قول الله ﷻ و قول رسول الله ﷺ وقول الصحابة رضي الله عنهم ) .

### ● ما هو الغرض من العلم ؟

الغرض من العلم ( العمل ) ، والغرض من العمل ( تحقيق العبودية لله تعالى في الأرض ) ،

قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات:56].

العلم عبادة وقربة إلى الله ﷻ بل من أفضل القرب إلى الله تعالى والدليل قوله ﷻ "من يرد الله به خيراً يفقهه في

الدين". صحيح البخاري

وحيث أن العلم عبادة فللعبادة شرطان:

1- الإخلاص. 2- متابعة هدي النبي ﷺ .

## الإخلاص

**تعريف الإخلاص :** هو الفرق بين العبد المطيع الذي أراد بعلمه وجه الله ﷻ والدار الآخرة ، وبين من أراد ما عند الناس من حظ الدنيا والسمعة والرياء .

فالإخلاص يصح به العمل أو يرد على وجهك ، به يقبل عند الله ﷻ أو يكون هباءً منثوراً ، به يعلو صوتك في الخافقين أو تكون في الدرك الأسفل .

أخبر النبي ﷺ أنه من فاتته حق الإخلاص في العلم فقد فاتته حق العلم كله .

قال رسول الله ﷺ " من تعلم علماً مما يتنغى به وجه الله تعالى ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها " . صححه الألباني .

قال بعض العلماء :

من تعلم العلم لغير الله ﷻ مكر الله به ، ومن طلب العلم للسمعة سمع الله به ، ومن طلبه للرياء راء الله به .

وللعلم درجات وكلما ضحى الإنسان نال ما عند الله ﷻ .

قال بعض العلماء : ( أعطى العلم كلك يعطيك بعضه ) .

قال سهل بن عبد الله التستري عليه رحمة الله : ( الدنيا كلها جهل إلا موضع العلم ، العلم كله حجة إلا موضع العمل به ، والعمل كله

هباء إلا موضع الإخلاص ، والإخلاص لا يتم إلا بالسنة . ثم قال : دنيك نفسك ، فإذا أفنيته فلا دنيا لك ) .

قال سفيان الثوري رحمه الله : ( ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي ) .

قال ابن القيم : ( لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار ) .

فيجب الحذر من حب المدح وحب الشهرة .

يوجد علامتان تدلان على عدم الإخلاص وأن العبد أراد بعلمه الدنيا :

العلامة الأولى : (( عدم العمل بالعلم )) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ( إنَّ الناس قد أحسنوا القول كلَّهم فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظُّه ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه ) .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثلي امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من

لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد .

كان سفيان الثوري يقول : قالت لي والدتي : يا بُني لا تتعلم العلم إلا إذا نويت العمل به ، وإلا فهو وبال عليك يوم القيامة .

فقليل العمل مع الإخلاص كثير الثواب ، وكثير العمل بلا الإخلاص عديم الثواب .

(( أن العبد لا يعتني بضبط العلم ولا بحفظه إلا لغرض دنيوي فإذا ذهب الغرض ترك الحفظ والعناية )) .

مثال : التعلم لغرض أخذ المؤهل أو الشهادة وبعد ذلك نترك العلم والعناية به .

فلا بد من مراجعة العلم وضبطه والمحافظة عليه وحفظه لكي تظل المعلومات حاضرة فنتمكن من العمل بها وقت الحاجة .

كان السلف الصالح يعانون أشد المعاناة من معالجة النفس ، وكان الواحد منهم آخر شيء يفكر فيه أن يشار إليه بالبنان ، لذلك لما تعلموا العلم للعمل ولتحقيق العبودية لله تعالى وأهملوا حظ النفس رفعهم الله ﷻ في الخافقين .

## المتابعة

تعريف المتابعة : هي أن يكون العمل الذي نتقرب به إلى الله موافقاً لما شرعه الله في كتابه ، أو سنة رسوله ﷺ .

فأي عمل لا يتوفر فيه هذان الشرطان ( الإخلاصة ، المتابعة ) ، فهو مردود على فاعله ، مضروب به وجهه .

قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة:3] .

أكمل الله لنا الدين قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، فليس الدين بحاجة إلى من يزيد فيه أو ينقص منه ، فالدين كامل ، والعقيدة كاملة ، والشرعية كاملة ، وهي واضحة مفصلة ، لا بأس فيها ولا غموض ، فعليك بالأثر ، ودع عنك بنيات الطريق ( أي : الطرق المنحرفة المعوجة ) ، ودع الأهواء جانباً ، واحذر الزيغ والابتداع والضلال ، والزم غرز أصحاب نبيك ﷺ .

وقد جاءت نصوص كثيرة تأمر بالاتباع وتحذر من الابتداع ، وتنهى عن الإحداث في الدين ،

قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:21] .

قال تعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر:7] .

قال تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزْبًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء:65] .

وقوله ﷺ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " البخاري ومسلم ، ( أي : مردود عليه ) .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى : { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الملك:2] ، ( أخلصه وأصوبه ) ، قيل : يا أبا علي ، وما

أخلصه وأصوبه ؟ قال : ( إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون

خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة ) . حلية الأولياء

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ

كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف:110] .

ولكي تكون العبادة مشروعة لابد أن توافق الشريعة من ناحية المظهر في ستة أمور :

(1) السبب . (2) الجنس . (3) الكم .

(4) الكيف . (5) الزمان . (6) المكان .

وهذه الشروط ليست في كل العبادات ، فيوجد عبادات تنطبق عليها الشروط الستة ، وعبادات ينطبق عليها خمسة شروط .  
مثال : الصلاة : لابد أن تكون موافقة للشريعة في السبب ، والسبب إما أن يكون من فعل المكلف أو يكون بقدر الله ﷻ صلاة الظهر :

سببها: دلوك الشمس ( إذا جاء وقت الزوال ، وجبت صلاة الظهر ).

الكم : أربع ركعات .

الكيف : صلوا كما رأيتموني أصلي.

الزمان : دلوك الشمس.

المكان : كل الأرض طهور ومسجد ، إلا المقبرة والحمام.

أما بالنسبة للجنس فمثلا الأضحية ، جاء رجل وقال : سأضحى بحصان ، فهذا لا يجوز ، لأنه خالف الشريعة في الجنس ، لأن الأضحية لابد أن تكون من النعم ثمانية أزواج ( من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ) .

### بعض آداب طالب العلم :

الواجب أن يكون طلبة العلم هم أكمل الناس عقلاً ، وأشد الخلق أدباً ، وأعظمهم نزاهةً وتديناً ، وأقلهم طيشاً وغضباً لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه ، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه ﷺ ، وطرائق المحدثين ومآثر الماضين ( أي أخبار هذه الطوائف ) ، فيأخذوا بأجملها وأحسنها .  
ومن هذه الآداب :

1- الإخلاص وحضور النية في طلب العلم .

2- التحلي بالأخلاق الشريفة باطناً وظاهراً واستعمال حسن الهدي وذلك باتباع آثار رسول الله ﷺ .

قال الإمام مالك ( حق على طالب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية واتباع لأثر من مضى قبله ) .

3- انتقاء الشيوخ الثقات العدول المشهورين باستقامة الدين وجميل الذكر وشرف الأخلاق .

قال تعالى لإبراهيم عليه السلام : { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } [البقرة:124].

فينبغي أن يكون الشيخ الذي تجلس إليه وتتلقى على يديه ، أن يكون سليماً في دينه مشهوراً بين أهل العلم به وبالعامل به وبلاستقامة عليه وعدم الاعوجاج عن منهج السلف الصالح وفي الآية السابقة ينفي الله ﷻ الإمامة عن الظالمين ، فلا ينبغي أن يكون أحد من الظالمين المعتدين المتعدين لحدود الله ﷻ أن يكون لك إماماً وإلا فأنت تابع له .

قال ابن سيرين : ( إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ) .

قال إبراهيم النخعي : ( كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى هديه وإلى سمته ) .

قال مالك : لا يؤخذ العلم عن أربعة :

(1) سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس .

(2) صاحب بدعة يدعو إلى هواه .

(3) من يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث .

(4) صالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به .

قال الخطيب البغدادي : ( اتفق أهل العلم على أن السماع ممن ثبت فسقه لا يجوز ) أهـ . ومن ثبتت بدعته أولى أن يترك السماع منه ممن ثبت فسقه .

قال سفيان الثوري : ( من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة ) . وهذا على سبيل التحذير والزجر .

قال عبدالله بن زيد الجرمي ( أبو قلابة ) : لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ؛ فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون . أهـ

وأهل البدع هم أصحاب الخصومات ( البدع ) الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، فهؤلاء أصحاب البدع والخصومات يشيرون الشبه والشكوك بالمشتبهات .

( فإما أن تتأثر به ، أو تصير في شك مما أنت عليه من حق ) .

**تعريف البدعة :** هي طريقة في الدين مخترعة تُضاهي بها الطريقة الشرعية يُقصدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى ، كما هو تعريف الشاطبي في الاعتصام .

ومن أهل العلم من عرف البدعة بقوله البدعة ما أُخِذَ على خلاف الحق المُتَلَقَّى عن رسول الله ﷺ في اعتقادٍ أو علمٍ أو حالٍ وجُعِلَ ذلك صراطاً مستقيماً وطريقاً قويمًا .

(( البدعة أعظم من الكبائر )) لأن البدعة استدراك على الشرع ، واتباع للهوى ، وتحريف للنصوص ، وتأويل لها ، وإدخال في الدين ما ليس منه .

4- تفرغ القلب للعلم وعدم إشغال فكره بسواه .

إن العلم عزيز الجانب ، لا يؤتيك بعضه حتى تُعْطِيَهُ كلك ، وأنت من إعْطَائِهِ إِيَّاكَ بعضُهُ بعد إِذْ تُعْطِيهِ كُلَّكَ على خطر ، إما أن يُعْطِيَكَ وإما ألا يُعْطِيَكَ .

فإذا أردت علماً ففرِّغ قلبك ويديك وحواسك من كل مشاغل تشغلك عنه .

قال تعالى : { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ } [الأحزاب:4] .

5- كتابة العلم وتدوينه .

أقسم الله ﷻ بالقلم وبالكتابة فقال : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } [القلم:1] .

روى أحمد وأبو داود والدارمي وغيرهم بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوماً بأصبعه إلى فيه ، فقال : " اكتب فوالذي نفسي بيده ، ما يخرج منه إلا حق " .

روى الخطيب في الجامع وابن عبد البر في الجامع وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " قيدوا العلم بالكتاب " . صححه الألباني .

وقال إبراهيم النخعي : ( لا بأس بكتابة الأطراف ) .

وقال أبو قلابة : ( الكتابة أحب إلي من النيسان ) .

وقال ابن المبارك : ( لولا الكتابة لما حفظنا ) .

وقال الشعبي : ( الكتاب قيض العلم ) .

وقال إسحاق بن منصور لأحمد بن حنبل : ( لو لم يكتب العلم لذهب ) .  
وقال الخليل بن أحمد : ( اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك للنفقة ) .

## العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيْدُه ... قيْدُ صيودك بالحبال الوثائقه فمن حماقة أن تصيدَ غزاله ... وتُسَيِّمَها بين الخلائق طالقَه

### وجوب الاتحاد والاعتصام وحرمة الفرقة والاختلاف:

أمر الله ﷺ الأمة بالاجتماع والائتلاف واتحاد الكلمة ، على أن يكون الأساس لهذا الاجتماع :

1- الاعتصام بكتاب الله ﷺ . 2- الاعتصام بسنة رسول الله ﷺ .

وكثير من الداعين إلى الإسلام على غير منهاج النبوة ، يدعون إلى الاجتماع ، ودعوتهم إلى الاجتماع باطلة ، لأنها مبنية على أصل باطل ، وهو : أنهم يقولون : يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

وإذن ؛ فإذا وقع اختلاف في الاعتقاد ، أو كانت مخالفة لرسول الله ﷺ ، فلا بأس !! ، يعين بعضنا بعضاً فيما اتفقنا فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه (( هذا أصل فاسد )) .

مسألة التجميع لم يقبلها رسول الله ﷺ ، وأتى بالأمر الواضح ، فقالوا : محمد ﷺ فرق بين الناس ، وجاء بأمر يفرق بين المرء وزجه ؛ وهذا حق لأنه : إما العقيدة والاتباع ، وإما الشرك والزيف والابتداع .

لقد جاء النبي ﷺ بالفرقان بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والسنة والبدعة ، والتوحيد والشرك ، والاتباع والابتداع . فمنهج التجميع على أن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ، يضر ولا ينفع ، لأن الذي لا يأخذ بالجادة ، ولا يسير على السوية لا يمكن أن يتأتى منه خير ، كيف وهو مخالف لخير البرية ﷺ ؟! ، وكل خير في اتباع من سلف ، وكل شر في ابتداع من خلف .

قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } [آل عمران: 103] .

وقال سبحانه وتعالى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: 105] .

قال تعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: 7] .

ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يجمع أمتي - أو قال : أمة محمد ﷺ - على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة . صححه الألباني .

وثبت في سنن ابن ماجة وصححه الألباني من حديث عوف بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فِإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ الْجَمَاعَةُ .

وفي رواية ( قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي )

ومعنى قوله ﷺ "ما أنا عليه وأصحابي" : أي في الاعتقاد ، والسلوك ، والاستنباط ، والعمل ، والقول ، والدعوة ، في كل شيء لأن خير من طبق الشريعة على وجه الأرض بعد النبي ﷺ هم الصحابة رضوان الله عليهم .

ولقد وعد النبي ﷺ هذه الفرقة الناجية أنها ستظل منصوره إلى يوم القيامة .

فعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ . صحيح مسلم .

اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذاً باليمن، فما فارقتُه حتى واريته في التراب بالشَّام، ثم صحبتُ من بعده أفضقه الناس: عبد الله ابن مسعود، فسمعتُه يقول: «عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة»، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: «سيولى عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها؛ فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة»، قال: قلت: يا أصحاب محمد! ما أدري ما تحدثون، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة، قال: «يا عمرو بن ميمون قد كنتُ أظنُّك من أفضقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟» قلت: لا قال: «إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدك»، وفي لفظ آخر: ضربَ على فخذي وقال: «ويحك! أنَّ جمهورَ الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى».

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنتَ وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ، ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذُكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه.

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عياراً على السنة، وجعلوا السنة بدعة، والمعروف منكراً لقلّة أهله وتفردهم في الإعصار والأمصار، وقالوا: من شَدَّ شَدَّ الله به في النار، وما عرف المختلفون أن الشاذَّ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم فهم الشاذون، وقد شَدَّ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرأ يسيراً؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك؛ فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أهـ إعلام الموقعين 3/397

سئل عبد الله ابن المبارك عن الجماعة قال: " أبو بكر وعمر، فقيّل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: ففلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة " . فأراد ابن المبارك أن يفسر الجماعة بمن اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسنة.

إذاً قضية الجماعة والطائفة المنصورة والسواد الأعظم هو ( ما وافق الحق ) .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : ( الزم طريق الهدى ، ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين ) .

# أصول منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة

ما المعني وما المقصود بمنهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة ؟  
المقصود به : أي الطريقة التي يسلكها المتعلم ليتعلم حفظ وتبليغ العلوم الشرعية ، ويستدل على الأحكام التكليفية من النصوص الشرعية .

ومنهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة عبارة عن عشرة أصول ..

## 1) ما وافق القرآن والسنة أثبتوه وما خالفهما أبطلوه :

إن مصدر العلم والحق في سائر فروع المعرفة الشرعية عند أهل السنة والجماعة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فلا كلام لأحد قبل كلام الله ولا هدي لأحد قبل هدي محمد ﷺ .

قاعدة أصولية : العين تكذب والتجربة تكذب وشرع الله لا يتطرق إليه كذب .

بمعنى أن الكذب يتطرق لرؤية العين ، وللتجربة ، أما إذا كان الأمر في الشرع ، يستحيل أن يتطرق إليه الكذب .

مثال: حفر الأرض مائة كيلو متر أو أكثر ، سترى أرضاً واحدة ،

وقال ﷻ: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ } [الطلاق:12] .

وثبت عند النسائي والحاكم وابن حبان من حديث صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ أنه قال : " ورب الأرضين السبع " .

في هذه الحالة نقول : العين كاذبة ، أما شرع الله لا يتطرق إليه كذب

ثبت في صحيح البخاري من حديث أبو سعيد الخدري أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ ، فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا . ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ . فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ . فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا . ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ! فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ ، اسْقِهِ عَسَلًا . فَسَقَاهُ فَبَرَأَ .

قاعدة أصولية : الوسائل لها أحكام المقاصد .

المقصد هو : الهدف المراد تحقيقه ، ولا بد أن يكون شرعياً .

الوسيلة هي : الطريقة الموصلة إلى تحقيق الهدف ، ولا بد أيضاً أن تكون شرعية .

فمعنى أن الوسائل لها أحكام المقاصد هو: أن المقصد إذا كان سيئاً فإن الوسيلة تكون ممنوعة، والمقاصد إذا كانت حسنة فلا

يجوز أن يتوصل إليها إلا بوسائل مباحة، والذي يوصل إلى الحرام يكون حراماً مثله ، فكل ما يتوصل به إلى الحرام فهو حرام . وإن

كان في الأصل حلالاً . وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وكذلك بقية الأحكام الخمسة،

فإذا كان أي من المقصد أو الوسيلة أو الإثنين معاً فيه نهى من الشرع فالعمل باطل مردود عليك .

وأما القاعدة التي تقول: إن الغاية تبرر الوسيلة، بحيث إن المقصد إذا كان حسناً فلا مانع من الوصول إليه ولو بطرق محرمة، فهذا

أبعد ما يكون عن الصواب، وهي قاعدة تنافي الإسلام في الصميم وفي المنهج .



## (2) لا معصوم عندهم إلا النبي ﷺ :

معنى العصمة : هي عدم الخطأ والزلل من الآدميين .

الأصل في الآدميين : الخطأ والزلل ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : "كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون" حسنه الألباني .

تفرقت الأمة في قضية العصمة إلى قسمين :

- (1) أهل السنة والجماعة : يقولون لا معصوم عندهم من البشرية على الإطلاق ، إلا الأنبياء والمرسلين ، وعلى رأسهم محمد ﷺ .
- (2) الشيعة الضلال : أثبتوا العصمة للنبي ﷺ ، ولكن أضافوا أنه يوجد عندهم إثني عشر إماماً معصوم .

### شبهة :

يقول بعض متعصي المذاهب ( شيعي أعلم بالدليل مني ) ، ومن هنا تُثبت له العصمة وهذا بلسان الحال ، لا بلسان

المقال ، وبهذا أثبتوا العصمة لغير محمد ﷺ وهي عصمة الأئمة والشيخ ، وهذا إنما يسمى ( التعصب المذهبي ) .

أما أهل السنة والجماعة فالعصمة عندهم وفي اعتقادهم للنبي ﷺ ، فلا يصدر منه إلا حق كما في السنن من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، أريد حفظه ، فنهني قريش ، وقالوا : أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوماً بأصبعه إلى فيه ، فقال : "اكتب فوالذي نفسي بيده ، ما يخرج منه إلا حق" .

### هام :

وبناءً على هذا ، حينما يزل أحد من أهل العلم ، أو إماماً من الأئمة ، أو شيخ من الشيوخ ، نتلقى هذا الزلل بشيء من راحة النفس ، ونخالقه في خطئه ، ونرد عليه بالدليل الشرعي .

ولا يزال علماءنا يُقدِّمون الحقَّ على أقوال الرجال ولو كانوا كباراً؛ كما كان ابنُ القيم يقول في "مدارج السالكين" في ردوده على شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي: (( شيخ الإسلام حبيبننا؛ ولكن الحقَّ أحبُّ إلينا )) .

يقول الشافعي عليه رحمة الله : أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحلَّ له أن يدعها لقول أحد . وقال أيضاً : إذا وجدتم لرسول الله سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد .

وقال الإمام مالك : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

وقال الإمام أبو حنيفة : لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه .

وقال أيضاً : إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي .

وقال الإمام أحمد : من ردَّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة .

وقال أيضاً : لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به .

( وهذا إجماع من الأئمة الأربعة على أنه لا يحل لأحد أن يقول بقولهم ما لم يعلم من أين قالوا ، يحثون بذلك على الدليل ) .

### (3) إجماع السلف الصالح حجة شرعية ملزمة لهم ولمن بعدهم :

أول مصدر نأخذ منه الأحكام الشرعية القرآن الكريم ، والثاني سنة النبي ﷺ .

معنى ذلك أنه من الممكن أن يأتينا حكماً تكليفاً من القرآن ، وآخر من السنة لا يوجد في القرآن ، ولا تعارض بين الأمرين لأن السنة وحي من الله تبارك وتعالى ، كما أن القرآن وحي من الله ﷻ .

ثم إن القرآن غالباً ما يحتاج إلى بيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عامه، مثل { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } [البقرة:43] ، { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } [البقرة:183] ، { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ } [آل عمران:97] ، { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } [البقرة:275] ، { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } [المائدة:38] ، ونحو ذلك مما يحتاج إلى البيان والتفصيل. وقد قامت السنة القولية والفعلية بتلك المهمة وهذه هي مهمة الرسول ﷺ. قال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل:44]. وكان جبريل عليه السلام ينزل على الرسول بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن. وقال تعالى : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } [النجم:3،4]. ولو لم تكن هذه السنة حجة على المسلمين ما أمكن تنفيذ فرائض القرآن ولا اتباع أحكامه. قال الأوزاعي : الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب. وقال ابن عبد البر : إنها تقضي عليه وتبين المراد منه.

ثبت في مسند الإمام أحمد بسند صحيح من حديث الْمُقَدِّمِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ .. "

ثالث مصدر نأخذ منه الأحكام الشرعية : الإجماع .

أهل السنة والجماعة يقولون: أن السلف الصالح لو أجمعوا على أمر من الأمور الشرعية ، فإن هذا الإجماع ، يكون حجة شرعية . والمعنى بالحجة الشرعية : أي لا يعترضها نقص ، ولا خلل ، ولا طعن ، وشأنها شأن كتاب ربنا ﷻ ، وسنة نبينا ﷺ ، في أخذ المصادر الشرعية .

واستدل أهل السنة والجماعة على هذا الأصل بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يجمع أمتي - أو قال : أمة محمد ﷺ - على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة . صححه الألباني .

معنى إجماع السلف الصالح حجة شرعية ملزمة لهم ولمن بعدهم :

أنه لو حدث إجماع من علماء الأمة في عصر من العصور على أمر من الأمور الشرعية ، فإن هذا الإجماع يكون حجة شرعية ، لا يحل لأحد أن يخالف هذا الإجماع ، ولا يحل لمخلوق أن يخرقه ، ولا يحل لمكلف أن يطعن فيه أو يأتي بخلافه ، ((فشأنه شأن القرآن والسنة كمصدر شرعي)).

معنى الإجماع :

أي إجماع سلف الأمة من المجتهدين في عصر من العصور على قول واحد في حادثة من الحوادث بعد وفاة النبي ﷺ .

## أركان الإجماع :

- (1) أن يوجد عدد من المجتهدين في عصر من العصور التي وقعت فيه الحادثة .
  - (2) أن يصرح كل مجتهد برأيه في المسألة صراحة .
  - (3) أن تتفق كل آراء المجتهدين على قول واحد .
- فإذا اجتمعت هذه الأركان ، كان الإجماع تام ، واعتبر حجة شرعية ملزمة لأهل السنة ومن بعدهم .

## تقسيم الإجماع باعتبار إمكانية حدوثه :

- (1) إجماع صريح .
- (2) إجماع سكوتي .

**الإجماع الصريح :** أن يصرح كل مجتهد برأيه في المسألة صراحة ، وهو الذي تكمل فيه أركان الإجماع السابقة .  
وقال أهل الأصول : إن الإجماع الصريح هو المقصود من قولنا : إجماع السلف الصالح حجة شرعية ملزمة لهم ولمن بعدهم .  
**الإجماع السكوتي :** أن يجتمع مجتهد العصر في زمن من الأزمنة ويصرح بعضهم برأيه في المسألة ، سواء بالجواز ، أو عدم الجواز ، وباقي المجتهدين يصمتون تجاه هذا التصريح .  
أما إذا تكلم البقية بالموافقة على الرأي ، فيعتبر إجماع صريح ، وإذا تكلموا بالمنع ، فلا يعتبر إجماع .  
من هو المجتهد : أن يكون ما يعلمه أكثر مما يجهره .

هام : وهذا النوع من الإجماع ( الإجماع الصريح ) بعد انقضاء عصر الصحابة ، عز أن يحدث .

قال الإمام الشوكاني في إرشاد الفحول : (( إجماع الصحابة حجة بلا خلاف )) . ومذهبه أن الإجماع لا يمكن تحقيقه فيمن بعدهم .

هناك تعبير يدل على الإجماع الصريح وهو : أن نقول ( ولا نعلم في هذه المسألة خلافاً ) ، فهذا إجماع صريح .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما تعرض لمسألة قراءة القرآن بأجر ، وإهداء ثوابه للأموات : أنه لا يعلم نزاعاً بين أهل العلم في تحريم ذلك .

إذا أجمعت الأمة في مسألة من المسائل الخلافية على قولين ، لا يحل لأحد ممن أتى بعدهم أن يستحدث في المسألة قول آخر ، لأنه في هذه الحالة ، قد خالف الإجماع .

مثال : حينما يأتي أئمتنا الكرام ويُجمعون سلفاً وخلفاً ، كتاباً وسنةً ، على أن تغطية المرأة لوجهها يدور بين الفرضية والاستحباب عند أمن الفتنة ، فإن لم تؤمن الفتنة ، فالإجماع منعقد على الوجوب قولاً واحداً ، فحينما يأتي أحد من الناس ، ويقول بأن هذا الأمر حرام أو بدعة فلا شك أنه خرج عن الإجماع وضل وأضل .

مثال آخر : قال ابن المنذر رحمه الله : وأجمعوا على أن دية المرأة نصف دية الرجل ، قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث : وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وهذه سوءة خلقية وفكرية ، رَفَضَهَا الفقهاء المحققون . أهـ ( وبهذا قد خالف الإجماع ) .

**الشاهد :** لما يشدُّ من أراد أن يتعلم علوم الشريعة ويتكلم بلسان الإسلام عن هذه القواعد ، حتماً سينحرف .

#### (4) أهل السنة والجماعة لا يقبلون قولاً ولا يقرون اجتهاداً إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والإجماع :

المقصود من هذا الكلام : أنه بعد عصور أهل القرون الثلاثة المفضلة .  
تُستحدث الأقوال وتأتي المستجدات العصرية ، ويطل علينا البشر بأمور مستحدثة ، فيبدأ يتكلم فيها المتكلمون من أهل العلم ويصلون فيها إلى قولين أو أكثر ، فهذه الأقوال المحدث لا تُقبل ، ولا تُقر ، إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة والإجماع .  
فحينما بحث العلماء في الكتاب والسنة ، ليستنبطوا الأحكام الشرعية والأصول ، وضعوا لنا قواعد كلية ، وقواعد فقهية ، وأصول لا ننحرف ولا ننفلك عنها .  
مثل ( قاعدة لا ضرر ولا ضرار - قاعدة أن الضرر لا يزال بضرر مثله بل بضرر أقل - قاعدة المشقة تجلب التيسير )  
هذه القواعد وضعها العلماء ، وأجمعوا عليها ، فحينما يأتي قول مستحدث ، ليس عليه دليل من الكتاب والسنة ( أي دليل صريح ) ، في هذه الحالة يجتمع العلماء ويصلوا فيه إلى قول .  
مثلاً حوادث السيارات وما يترتب على هذه القضية من حق الله وحق العباد ، ففي هذه القضية المستحدثة يجتمع العلماء ويصلون فيها إلى رأي معين ، لا يتم الأخذ بهذا الرأي ، إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والإجماع .  
بمعنى أن يكون لهذا الرأي مرجعية يرجع إليها ألا وهي كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلفنا الصالح .  
معنى المرجعية : هي أن تأتي بالقول المستحدث ونضعه على القواعد الأصولية التي أجمع عليها العلماء من الأدلة الشرعية ، فإذا اصطدم مع قاعدة من القواعد الشرعية ، فلا يعوّل عليه ، ولا ينظر إليه ، ولا يتكلم فيه ، إلا لبيان سخطه وانحرافه وعواره .

#### (5) أهل السنة والجماعة لا يعارضون القرآن والسنة برأي ولا بعقل ولا بقياس :

إحتمالية معارضة القرآن والسنة بثلاثة أشياء :

(1) معارضة برأي . (2) معارضة بعقل . (3) معارضة بقياس .

معارضة برأي ( هوى ) : روى الدارقطني بسند صحيح موقوف على ابن الخطاب عمر قال : إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمْ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا .

أهل السنة والجماعة على مدار العصور والأزمنة، ما ثبت عن أحد منهم قط، أنه عارض نصاً في كتاب الله ﷻ ، أو نصاً ( صحيحاً ) في سنة النبي ﷺ ، بالرأي أو بالعقل أو بالقياس ، بل على العكس ، إذا صدر من أحد هفوة في المعارضة فكانوا يقفون له وقفة حزم حتى يرجع عن قوله .

حدّث أبو معاوية الضريبر هارون الرشيد بحديث " احتج آدم وموسى " فقال رجل شريف : فأين لقيه ؟ فغضب الرشيد وقال : النطع والسيف ! زنديق يطعن في الحديث . فما زال أبو معاوية يسكّنه ويقول : بادرة منه يا أمير المؤمنين . حتى سكن .

معارضة بعقل : يقول ابن تيمية : فلا يجوز أن يتعارض العقل الصريح والسمع الصحيح .

فإذا حدث التعارض بين العقل والنقل ، فذلك بسبب من سببين :

(أ) أن النقل لم يثبت . (ب) أن العقل لم يفهم النقل .

العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح ، بل يشهد له ويؤيده لأن المصدر واحد فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل ، ومن المحال أن يُرسل إليه ما يُفسده .

المعني بالنقل : هو القرآن والثابت الصحيح من السنة .

إذاً الأصل أنه لا يحدث تعارض ، فالعلاقة بين العقل والنقل ، كالعلاقة بين ضوء الشمس والعين ، فكما أن العين لا ترى إلا بنور الشمس ، فكذلك العقل لا يستضيئ إلا بنور الوحي .

ونظراً لأن صاحب العقل الذي أراد أن يعترض على النقل ، عنده أصلاً خدش في إيمانه ، ودخن في صدق إيمانه ، فوجود هذا الخدش والدخن أثر على لسانه ، فبدأ يعترض بعقله على هذا النقل ، الذي هو وحي من الله ﷻ .

يقول علماء الاجتماع : أن المحب إذا رأى في حبيبه عيب ، دل على عدم كمال المحبة ، ولم يبلغ المحب الدرجة الكاملة ، إلا إذا لم يرى في حبيبه أي عيب .

بعض الأمثلة الحية على معارضة النقل :

(أ) روى الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ وَلَوْ مِنْ تَوْرٍ أَقِطٍ" قَالَ : فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُنْتَوِضُّ مِنَ الدُّهْنِ؟ أُنْتَوِضُّ مِنَ الْحَمِيمِ؟ قَالَ : فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا ابْنَ أَخِي إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا . ( الحديث منسوخ ) .

(ب) وعند ابن ماجة بسند صحيح من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَقْطَعُ الصَّلَاةُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْ الرَّجُلِ مِثْلُ مُوَحَّرَةِ الرَّحْلِ الْمَرْأَةِ وَالْحِمَارِ وَالْكَلْبِ الْأَسْوَدِ قَالَ قُلْتُ مَا بَالُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْأَحْمَرِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ .

قال الشيخ محمد الغزالي : والكلاب أبيضها وأسودها سواء !. أه

وهذا لا يجوز لأنه معارضة للنص بالعقل

ذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة الفقيه الشافعي أبي قلابة يقول : إذا حدثت الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا، وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضال. أه

قلت أنا: وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والاحاديث الآحاد، وهات " العقل " فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جنت منه، فاهرب، وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه.

## (6) أهل السنة والجماعة ، الجماعة عندهم مناط النجاة في الدنيا والآخرة :

الجماعة هي : ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدك ، وهي ما كان عليه السابقون من سلف الأمة .

عندهم أي : أهل السنة والجماعة .

مناطق أي : الأساس ، وقطب الرحا .

كأن القائل يريد أن يقول : أن التمسك بما كان عليه جماعة المسلمين في كل وقت وحين ، هو الأساس ، والركن الركيز ، وقطب الرحا ، للنجاح من فتن الدنيا ومن عرسات يوم القيامة ،

إذاً أي فتنة تعرض علينا ، وأي شبهة نسمع إليها ، وأي شهوة تتعلق بقلوبنا ، إذا أردنا النجاة منها ، فليس لنا إلا سبيل واحد ، وهو الجماعة .

معنى الفتنة : هي أن يختلط الحق والباطل ، ولم يستطيع الرجل أن يميز بينهما.

مثال : لما حدثت الفتنة بين علي بن أبي طالب عليه السلام و معاوية بن أبي سفيان عليه السلام ، أرسل علي بن أبي طالب إلى كبار الصحابة عليهم السلام ليخرجوا معه ، فتذكروا ، وأتوا بأحاديث الفتن ، وأنزلوها على الواقع الذي هم فيه ، وامتنعوا عن الخروج ، فعذرهم علي بن أبي طالب عليه السلام والتمس لهم العذر ، ولم يعنف أحداً منهم ، بالرغم أنهم أعطوه البيعة .

إذاً في كل وقت إذا اختلط علينا الحق والباطل ، واختلطت علينا الأمور ، ولم نستطيع أن نميز ، فالسبيل الوحيد لنا أن نرجع إلى العهد الأول ، إلى الجماعة ، إلى ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، والتابعين ، وتابعيهم الذين كانوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة .

## (7) أهل السنة والجماعة لا يجيبون على العاجز في طلب العلم ما يجب على القادر :

اتفق أهل السنة والجماعة على أنه لكي يصح إيمان المكلف ، يجب أن يؤمن بكل ما جاءت به الشريعة ، ولو لم يعرفه ، وهذا يسمى ( إيماناً مجملاً ) ، ولكنهم يفرقون بين العاجز والقادر في معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ( على التفصيل ) . وهذا أصل عظيم وقعت بسبب عدم معرفته فتن كثيرة .

هناك فرق بين الإيمان العام المجمل ، وبين معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل .

مثال : جاءت الأخبار الصادقة بثبوت عذاب أو نعيم البرزخ ( الحياة البرزخية ) ، فتؤمن به إيماناً مجملاً عاماً ، ولو لم نعرف تفاصيل العذاب أو النعيم .

وكذلك كل شيء علمنا أنه جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيلزمنا الإيمان به إيماناً مجملاً .

أما ما يجب على كل الناس من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل ، فهو متنوع بتنوع قدراتهم ، ومعرفتهم ، وحاجاتهم ، فأهل السنة يعلمون أن قدرات العباد متفاوتة ، وهم العباد متنافرة ، وما تحبه أنت يمله غيرك ، وما تستريح له أنت يبغضه غيرك . وعليه قال أئمتنا : هناك من العلوم الشرعية ما يجب على ذوي القدرات ، ما لا يجب على غيرهم ، وهذا معنى الأصل .

أي أنهم لا يلزمون كل المكلفين مثلاً بعلم الجرح والتعديل ، أو بعلم المواريث ، أو بفقهِ الحيض والنفاس على التمام والكمال ، لأن همم وقدرات العباد متنوعة ، وعليه تكمن خطورة هذا الأصل ، في أن أهل السنة والجماعة هم خير من يرفقوا بالناس ويعذر الناس .

### مجمل الشريعة أو أصل التوحيد :

هو أن يعتقد المكلف أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وأنه سبحانه وتعالى هو مستحق للعبادة وحده ، ولا يشرك معه أحد في عبادته .

### فروع الشريعة أو دقائق الشريعة :

عقائد ، حدود ، معاملات ، أخلاق ، عبادات ... إلخ ( على التفصيل ) .

### صور التوحيد :

هي أصناف العبادة التي نتقرب بها إلى الله عز وجل من نذر ، وذبح ، واستغاثه ، واستعانه ، وتوكل ، وخوف ، وإنابة ، وخشية ... إلخ .

### هام جداً :

إذا ثبت أصل التوحيد عند المكلف ، فيعذر بجهله إذا سقط في صورة من صور التوحيد .

مثال : إذا شهد رجل أن الله وحده هو المستحق لكل العبادة ، إذاً هو موحد ، فإذا نذر لغير الله ، أو ذبح لغير الله ، أو طاف حول قبر من القبور ، يكون قد سقط في صورة من صور التوحيد ، فيقال له : هل تعرف أن النذر أو الذبح هو صورة من صور التوحيد ، ويجب أن لا تصرف إلا لله وحده ؛ فإن قال : لا أعرف ثم انتهى ؛ يعذر بجهله .  
ولكن إذا قال : أعرف ، وأصر على ما هو عليه من نذر أو ذبح لغير الله أو طواف حول قبر من القبور ، فلا بد من إقامة عليه الحجة .

### ولا تقام الحجة إلا بشرطين :

(1) استيفاء الشروط ، و انتفاء الموانع .

(2) أن يقيم الحجة عالم مطاع ، أو أمير مهاب .

استيفاء الشروط : هي العلم والقدرة .

انتفاء الموانع : هي عدم الإكراه ، أو الجنون ، أو عدم الاستطاعة .

إذا انطبق عليه الشرط الأول ، ننظر إلى الشرط الثاني ، وهو أن يقيم الحجة عالم مطاع أو أمير مهاب .

فإذا جاء وأقام عليه الحجة ، وأصر على ما هو عليه ، كفر بالله العظيم .

قال النبي ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنه " من بدل دينه فاقتلوه " صححه الألباني ، والذي يفعل ذلك ، ( ولي الأمر ) ، أما بالنسبة لنا أقصى شيء نفعله ، أن نهجره .

## (8) تعظيم النص الشرعي والانقياد إليه :

قال تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب:36].

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الحجرات:1].

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } [الحجرات:2].

سبب نزول أول آيتين من سورة الحجرات :

ثبت في البخاري من حديث عبد الله بن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، رفعاً أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال : أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي ، قال : ما أردت خلافاً ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ } . الآية . قال ابن الزبير : فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه . ولم يذكر ذلك عن أبيه ، يعني أبا بكر .

معنى هذه الآية : أن الله ﷻ حرم علينا معشر المؤمنين ، أن نتكلم في أمر من أمور الدنيا ، أو الدين ، دون الرجوع إلى الشريعة . عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة .

فإذا فعلنا فنكون حقاً قدمنا بين يدي الله ورسوله ﷺ . وهذا هو معنى الآيتين .

التعظيم : معناه الانقياد .

فأهل السنة والجماعة ، يحبون الله ﷻ ورسوله ﷺ ، من أجل ذلك يعظمون النصوص الشرعية ، والتعظيم لا يكون إلا بالانقياد .

كل دعوى ليس لها برهان فهي أحق بالبطلان :

فبرهانك على صدق دعواك ، أنك تعظم النص الشرعي بالانقياد له .

على هذا خير من عظم النصوص الشرعية ، هم سلفنا الصالح ، صحابة النبي ﷺ ، والتابعين ، هم حقاً الذين عظموا الله وعظموا نبيه ﷺ ، التعظيم اللائق به ، وسيرتهم خير دليل وبرهان على تعظيمهم للنصوص الشرعية .

ثبت في مسند الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِيهِ ( أي في الإفك ) ... وَمُسْطَحٌّ فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يَنْفَعُ مُسْطَحًّا بِنَافِعَةٍ أَبَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ } يَعْنِي أَبُو بَكْرٍ { أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ } يَعْنِي مُسْطَحًّا { أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى وَاللَّهِ إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ يُغْفَرَ لَنَا وَعَادَ أَبُو بَكْرٍ لِمُسْطَحٍّ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ بِهِ . ووقع في بعض الروايات في السنن أنه رجع النفقة ضعفين

إذاً تعظيم النصوص الشرعية مسلك سلفنا الصالح ، ومسلك أهل السنة والجماعة ، والتعظيم علامته الوحيدة سرعة الانقياد للنصوص الشرعية .

كان ممن وقع في عرض السيدة عائشة رضي الله عنها : مسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وماذا قالوا ؟! ، باتفاق أهل الرواية ، أنهم قالوا : سمعنا الناس يقولون كذا ، فعُدَّ هذا عليهم قذف ، فأقيم عليهم الحد .



## (9) الاعتماد على السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ :

وهذا الأصل مما يميز أهل السنة والجماعة عن أهل البدع والضلالات والخرافات ، فأهل السنة يبحثون ويفتشون دائماً عن السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ .

لما سئل بن تيمية عن الدليل الشرعي على أنه في السنة أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ ، قال : لعله بلغكم أنه أثر على النبي ﷺ أنه قال : " سيكذب علي " ، قالوا : بلغنا . قال : فإن كان هذا الحديث صدقاً فلا بد أن يكذب عليه و إن كان كذباً فقد كذب عليه .

قال ابن تيمية : الاستدلال بما لم يعلم قائله ، وصحته ، لا يجوز ، لأنه من القول على الله بغير علم.

قال علماء الحديث : إذا ثبت الحديث في الصحيحين أو في أحدهما ، فهو ثابت قطعياً للنبي ﷺ . ( وهذا إجماع )

## (10) صحة فهم النصوص الشرعية :

من الطرق التي تسلك لصحة فهم النصوص :

(1) معرفة فهم الصحابة للنصوص الشرعية :

قال ابن مسعود : من كان مقتدياً فليقتد بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن فتنه .

أصحاب النبي ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقهم إيماناً ، وأصدقهم السنة ، وأقلهم تكلفاً ، قوماً إختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وكانوا على الحق الصريح .

إحتمالات القول للصحابي :

قول الصحابي في المسألة لا يخرج عن ستة احتمالات ( خمسة صواب ، والسادس خطأ ) :

أ- أن يكون سمعها من النبي ﷺ .

ب- أن يكون سمعها ممن سمعها من النبي ﷺ .

ج- أن يكون اتفق عليه جماعتهم ، ولا ينقل إلينا إلا قول واحد .

د- أن يكون فهمها فهماً غاب عن غيره.

هـ- أن يكون قوله في المسألة لغزارة علمه ، وشدة فهمه ، وطول ملازمته للنبي ﷺ .

و- أن يكون قوله على غير مراد الله ﷻ وغير مراد رسوله ﷺ . ( مستحيل ) .

قاعدة أصولية هامة :

قول الصحابي حجة يعمل بها إذا لم يتصادم مع نص شرعي أو قول صحابي آخر .

## (2) معرفة علوم اللغة العربية :

بعض الأصول المتفق عليها عند أهل اللغة وأهل العلم وهي :  
أن اللفظ يصرف إلى معناه الحقيقي أصلاً ، ولا يحمل على غير معناه ، إلا لقرينة أوضح من شمس النهار توضح معناه.

## (3) جمع النصوص الشرعية الواردة في الباب الواحد :

إذا جمعت النصوص الشرعية الواردة في الباب الواحد وحدث تعارض ، ماذا نفعل ؟

أ- نرد العام إلى الخاص .

ب- نرد المجل إلى المفصل .

ج- نرد المطلق إلى المقيد .

د- نرد المحكم إلى المتشابه .

هـ- معرفة الناسخ والمنسوخ.

وعليه يتم الترجيح بين الأقوال .

## (4) معرفة مقاصد الشريعة .

أ- حفظ الدين .

ب- حفظ النفس .

ج- حفظ العقل .

د- حفظ النسل .

هـ- حفظ المال .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا إلى الحق ، وأن يقيمنا عليه ، وأن يقبضنا عليه ، وأن يحشرنا في زمرة أهله .  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وسلم تسليماً كثيراً.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.**

**نسألكم الدعاء لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولجميع المسلمين.**